

بيوتات السلطنة. مؤسّسات تقدّم الخدمات المختلفة لجهاز الحكم السلطانيّ [الملكيّ]. استُخدمت أحياناً كلماتٌ أخرى مرادفةً لكلمة البيوتات مثل كارخانة [دار العمل]، وأسباب واثائه سلطنت [تجهيزات السلطنة]. كما أنّ اللاحقة خانة [البيت، الدار] التي شكّلت جزءاً من أسماء عدد كبير من المؤسّسات مثل توب خانة [مركز المدفعية]، وفراشخانه [دار الفرش]، دليل على صلة تلك المؤسّسات بالبيوتات. فضلاً عن ذلك، يمكن العثور على الكثير من المرادفات الأخرى، بديلاً من البيوتات أو اللاحقة خانة، مثل الخزانة في خزانة الفرش بدلاً من فراشخانه [دار الفرش]، وخزانة الشراب بدلاً من شرابخانه [دار الشراب] (المقرزيّ، مج 1، ص 408)، ولفظة دار في دار الضرب بدلاً من ضرابخانه، وحتى لفظة المجلس في "مجلس البناء والمرمة [الترميم]" بدلاً من ال بناخانة*.

تشمل البيوتات مؤسّسات متنوّعة، مثل آبدار خانة [دار السقاية = المسقاة]، وفراشخانه [دار الفرش]، وخياطخانه [دار الخياطة]، وغيرها، التي لها كلّها طابع معيشيّ وخدماتيّ؛ توبخانه [مركز المدفعية]، ووقور خانة [دار السلاح]، واسلحه خانة [دار الأسلحة]، التي لها طابع عسكريّ. شعربافخانه [دار حياكة الشّعر]، التي لها طابع إنتاجيّ وصناعيّ؛ طشتخانه [دار الأواني]، إدارة مهمتها تنفيذ المراسم الاحتفاليّة؛ كذلك لفظة ضرابخانه [دار الضرب]، ولفظة الخزانة، المرتبطتان بالشؤون الماليّة، وغير ذلك من المؤسّسات التي تتولّى تأمين متطلبات السلطة الحاكمة. يعود استخدام لفظة البيوتات بهذا التوسّع إلى العصر الصفويّ (906-1135هـ) ← تنمّة المقالة؛ الميرزا سميعا، ص 28-34؛ كمبفر، ص 145-155).

ليس واضحاً تماماً، متى كان استخدام هذا المصطلح للمرّة الأولى. بمعنى المؤسّسة الإداريّة [أو المديرية]. ففي المصادر الإسلاميّة استُخدمت عبارة "أهل البيوتات" في الحديث عن العصر الساسانيّ (226-651م) (البلاذريّ، ص 284، 549؛ الطبريّ، السلسلة الثانية، ص 858، 860، 866، 1046)، ويبدو أنّ المقصود بها الأسر القديمة، أو العائلات السبع الكبرى، التي كانت تتولّى في الدولة الساسانيّة رئاسة الدواوين، أو بعبارة أخرى مديريّات ذلك الزمن (كريستن سن، ص 130-131؛ أيضاً ← سامي، مج 2، ص 46-47). ورد في المصادر كذلك عبارة "بيوت الأموال" (البلاذريّ، ص 414؛ الطبريّ، السلسلة الثانية، ص 873)، والمقصود بها على الأرجح بيت المال. هنالك شواهد على استخدام لفظة البيوتات وأهل البيوتات بمعنى العوائل الكبيرة والعريقة في مصادر القرون الخامس والسادس والسابع

الهجرية أيضاً (ابن إسفنديار، مج 1، ص 23؛ ميهني، ص 119؛ بهاء الدين البغدادي، ص 122؛ ناصر الدين المنشي الكرمانبي، ص 4). مع ذلك يبدو من خلال بعض مصادر القرن السابع الهجري، أن لفظة البيوتات قد أُطلقت أيضاً على المؤسسات الخدمائية في السلطنة [المملكة] (تاريخ القراخانيين الملكي، ص 58، 185).

يمكن العثور على أول استخدام لكلمة البيوتات بمعنى المؤسسات الخدمائية في جهاز السلطنة الحكومي، في مصادر العصر السلجوقي (429-590هـ)، وبالأخص العصر السلجوقي الثاني (470-700هـ) (ابن بي بي، ص 10، 12، 71). في أواخر عصر الخوارزمشاهيين (490-628هـ)، استُخدمت لفظة البيوتات بهذا المعنى أيضاً (النسوي، ص 254). لكن في عصر الإيلخانيين المغول (654-754هـ)، استُخدمت لفظة "كارخانه" [دار العمل] بدلاً من بيوتات (رشيد الدين فضل الله، مج 2، ص 1049، 1135، 1351، 1511؛ شمس المنشي، مج 2، ص 77، 83، 88)، ويبدو أن لفظة كارخانجات [جمع كارخانه بالفارسية = دور العمل] كانت تُطلق على البيوتات التي لها طابع إنتاجي. عدّ شمس المنشي الـ "كارخانه" [دار العمل] ديواناً من الدواوين (مج 2، ص 77)، ولهذا السبب ربّما عدّ بعض المؤلفين البيوتات مديرية من مديريات ديوان السلطنة وفرعاً من فروعها، وذكروا مؤسسات البيوتات مثل طشتخانه [دار الأواني]، وفراشخانه [دار الفرش] كمؤسسات موازية للبيوتات، وليس كمؤسسات تابعة لها (بياني، ص 178). مع ذلك، لا يمكن عدّ مؤسسات كطشتخانه وفراشخانه مؤسسات موازية للبيوتات، وإنما فروع منها. يعتقد هوفمان أن كلمة "أردوبازار" التي استعملت منذ عصر المغول اسماً لبلاط المغول المتنقل، كانت بمنزلة البيوتات، وظل ذلك ساريًا في عصور التيموريين والآق قوينلو والقراقوينلو أيضاً (إيرانیکا، المادة نفسها). في عصر التيموريين (771-912هـ) كانت اللفظة الشائعة بهذا المعنى هي لفظة كارخانه [دار العمل] (تيمور الغوركاني، ص 196، 200، 210، 216)، ونصادف للمرّة الأولى لقب "وزير كارخانه های سلطنت" [وزير دور العمل السلطانية]، لقب رابع الوزراء في جهاز الحكم التيموري، والمشرف على الموارد والنفقات، والجهاز المالي، والخزانة، والإصطبل الملكي (م. ن، ص 304).

يقول هوفمان، إن الـ "أردوبازار" فقد أهميته في العصر الصفوي، وأُسست البيوتات (إيرانیکا، م. ن، ص. ن). لكن على أساس الشواهد المتوافرة، لا يبدو هذا الكلام صحيحًا. ففي تلك الآونة كانت مؤسسة الـ "أردوبازار" [البلاط السيار] تؤدّي غالبًا خدمات للجيش.

توسّعت البيوتات جدًّا في عصر الشاه عبّاس الأوّل (996-1038هـ)، وباتت في ذلك العصر تضمّ العديد من المؤسّسات، وأعدادها المذكورة في المصادر متفاوتة، فهي 33 كارخانة (نصيري، ص 21؛ مينورسكي، ص 123) و 50 كارخانة (كمبفر، ص 145) و 32 كارخانة (شاردن، مج 4، ص 1420). يرى شاردين (م.ن، ص.ن) أنّ متوسط عدد العاملين في كلّ دار من هذه الدور كان 150 عاملاً. ويقول إنّ نفقات دور العمل الملكيّة الـ 32 قد تجاوزت الخمسة ملايين إكو (350'000 تومان) (م. ن، مج 4، ص 1421؛ إيرانيكا، م.ن، ص.ن). لم تكن أجور العمّال ثابتة، وكلّ ثلاث سنوات يتقاضون زيادة على رواتبهم (لمزيد من التوضيح ← شاردين، مج 4، ص 1421-1422؛ إيرانيكا، م. ن، ص. ن). يقول هوفمان إنّ عدد العاملين في البيوتات السلطانيّة كان خمسة آلاف شخص (إيرانيكا، م. ن، ص. ن)، يتلقون رواتبهم بواسطة الحوالة (برات) (شاردين، مج 3، ص 1305).

في ذلك العصر كانت هنالك مناصب عديدة يتولّاها القيّمون على أمور البيوتات، أرفعها كما يبدو منصب نظارة البيوتات، الذي كان صاحبه يحمل لقب عالي الجاه المقرب الخاقانيّ، وكما ذكر نصيري كان "عمله خطيراً جدًّا". وكان موضع ثقة الشاه وكاتم أسراره، يقوم يومياً بدراسة برامج عمل البيوتات المقدّمة إلى الحكومة، ويمهره بالخاتم، ويتحقّق من التقارير المتعلقة بدور العمل، كما يراقب عمل صاحب الجَمْع (← تتمّة المقالة) في ديوان الماليّات، ويدفع المستحقّات، ويوظّف العاملين في البيوتات (نصيري، ص 20، 22، 24، 26؛ أيضاً ← الميرزا سميعا، ص 9-12).

كان ناظر البيوتات يتقاضى راتباً ومداخيل أخرى مجموعها سنويّاً ستة آلاف تومان (نصيري، ص 21). يأتي من بعده في الأهميّة منصب وزارة البيوتات. كانت مهمّة وزير البيوتات دراسة برنامج عمل البيوتات يومياً، وتوقيعه، ومن ثمّ تحويله إلى ناظر البيوتات ليمهره بالخاتم. وكان كذلك يقوم بمراقبة حسابات كلّ أصحاب الجَمْع، والعاملين في البيوتات، ونفقات دور العمل الملكيّة (م. ن، ص 65). وكان يتولّى تسجيل جميع النفقات التي نالت موافقة الناظر، ويضبطها، ويدقّق بأثمان بعض السلع التي كانت تُشترى للبلاط (الميرزا سميعا، ص 34-35). كان يتقاضى ثمانين تومانياً راتباً، وحصّة غذائيّة يومية مقدارها ألف دينار، وتعويضاً سنويّاً يبلغ 36 تومانياً؛ فضلاً عن ذلك كانت تعود إليه مبالغ أخرى تُخرّج من نفقات البيوتات (نصيري، م. ن، ص. ن).

صاحب المنصب الآخر المهم، هو صاحب جَمْع البيوتات. ففي جهاز الحكم الصفوي، كان لكل واحد من البيوتات صاحب جَمْع خاص به، يتولّى شؤون ماليّة دار العمل هذا، وكان بعض أصحاب هذا المنصب يحملون لقب المقرّب الخاقانيّ. كان أصحاب الجموع يحملون إلى ناظر البيوتات الحاجات الماليّة لدور العمل مكتوبة - بعد أن تكون قد نالت موافقة المشرفين-. تُحوّل هذه الوثيقة الخطيّة بعد أن يدرسها وزير البيوتات ويسجّل ملاحظاته عليها، ليوقعها وزير الديوان الأعلى، وكان صاحب الجَمْع على أساس هذا السند، يكتب إيصالاً، ويتلقّى المبلغ المطلوب (ميرزا سميعا، ص 28-34). في ذلك الحين كان المكتب الماليّ يتألّف من ثلاثة أقسام، أحدها متعلّق بالبيوتات (بوسه، ص 139). كان يتوجّب على المشرف على البيوتات أيضاً، أن يسجّل يومياً إضبارات ومستندات دور العمل الملكيّة، ويطلب الوثائق اللازمة من أصحاب الجموع وجامعي الضرائب، ويوصل المستندات هذه إلى المسؤولين الأصليين لتوقيعها (ميرزا سميعا، ص 35).

في عصر نادرشاه (1148-1160هـ)، ذكرت أحياناً أسماء البيوتات أيضاً (المرويّ، مج 1، ص 112)، إنّما يبدو أنّ لفظة كارخانة هي التي كانت متداولة (م. ن، مج 1، ص 407، مج 2، ص 457، 739، 866)، ولم تكن البيوتات بالالتساع الذي كانت عليه من قبل، لأنّ نادر ألغى بعض المناصب (م. ن، مج 2، ص 457). في عصر الزنديّة (1163-1209هـ) استُخدمت لفظة كارخانة على نحو أوسع (نامي الإصفهانيّ، ص 11، 156؛ غلستانة، ص 16، 21، 33، 38-41، 54).

في العصر القاجاريّ (1209-1344هـ) كانت توجد مؤسّسة اسمها وزارة البيوتات، واللافت أنّ هذه الوزارة، كانت تُحسب من ضمن الوزارات والمديريّات الحكوميّة، وليست مؤسّسة ملكيّة (سبهر، ص 45)، وبعض المؤسّسات التي كانت من قبل جزءاً من البيوتات، ذُكرت منفصلة في فهرس المديريّات السلطانيّة الخاصّة (م. ن، ص 44-45). مع ذلك، سُمّي المستوفي (مج 1، ص 380-421) عدداً كبيراً من هذه المؤسّسات تحت عنوان البيوتات، وشرح كلّ ما يتعلّق بها. يقول إنّ مديريّات الشؤون الشخصيّة للشاه، التي كانت تنتهي باللاحقة خانة، كانت بمصطلح البلاط القديم، تُسمّى بيوتات، علماً أنّ عمل بعض هذه البيوتات كان حكوميّاً، وبعضها نصف حكوميّ ونصف شخصيّ (م. ن، مج 1، ص 380). يقول كذلك إنّ مركز جميع البيوتات كان "خلوة" الشاه، وكان رؤساء البيوتات والعاملين فيها، وخدم الخلوات والفراشين يُحسبون جزءاً منها، وكان وزير البلاط (وزير الحضور) في

ذلك الحين يُعدّ، إلى حدّ ما، رئيس كلّ بيوتات السلطنة (المستوفّي، مج 1، ص 389-390)، وعملياً كانت رئاسة العاملين في "خلوة" الشاه في عهده.

تدلّ شواهد استخدام لفظة البيوتات في مصر والشام والهند، كفراشخانة [دور الفراش] وتشتخانه [دور الأواني]، على أنّ إنشاء هذه المؤسسات متأثّر بإيران. اللافت أنّ ابن المماتي (القرنان السادس والسابع الهجريّان) عدّ البيوت هي نفسها الحوايجخانة [دار الحوائج] (ص 354). كانت تستخدم في مصر والشام مصطلحات مثل شرايجخانة [دور الشراب]، وفراشخانة [دور الفراش]، وتشتخانة [دور الأواني] في القرن الثامن الهجريّ، وذكر أستاذار [الأسطادار] بصفته رئيس هذه المؤسسات (العمرّي، ص 134-135). تطرّق ابن شاهين أيضاً إلى شرح البيوتات، وسمّى الشرايجخانة، والتشتخانة، فراشخانة كمؤسسات مستقلة (ص 124). يبدو أنّ منصب "نظر البيوت والحاشية" (ابن كنان، ص 175) هو نفسه "ناظر البيوت والحاشية" الذي أشار إليه القلقشنديّ (القلقشنديّ، الفهرس، ص 434). يقول البقليّ (ص 342)، إنّ هذا المنصب كان يُحسب من ضمن الوظائف الديوانيّة، وكان صاحبه يتولّى إدارة بيوتات السلطان، والمطبخ ودار الشراب، والغلمان. في المتناول شواهد على استخدام مصطلح البيوتات في الشام في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريّين (ابن كنان، ص 121)، وكان المتصدّي لهذا العمل يُسمّى أستاذار [الأسطادار] (م. ن، ص 120، الحاشية 1).

في الهند في عصر الغوركانيين (932-1274هـ) استخدم أيضاً مصطلح البيوتات، (خواندمير، ص 49، 79) وأحياناً مصطلح كارخانه بالمعنى نفسه (برني، ص 135؛ بختاورخان، مج 1، ص 83، 142). كما ذكرت مؤسسة باسم ديوان البيوتات (بختاورخان، مج 1، ص 123، 142، 146). في المعاجم الأردية، استخدمت لفظة البيوتات بمعنى البلاط (الرضويّ؛ الدهلويّ، مادّة "بيوتات").

المصادر والمراجع: ابن إسفنديار، تاريخ طبرستان، ط. عباس إقبال، طهران [تاريخ المقدّمة 1320ش [1941م]]؛ ابن بي بي، أخبار سلاجقة الروم، ط. محمّد جواد مشكور، طهران 1350ش [1971م]؛ ابن شاهين، كتاب زبدة كشف الممالك، ط. فؤاد سزغين، في الجغرافيا الإسلاميّة، مج 79، فرانكفورت 1413هـ/1993م؛ ابن كنان، حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، ط. عبّاس صباغ، بيروت 1412هـ/1991م؛ ابن مماتي، كتاب قوانين الدواوين، ط. عزيز سوريال عطية، القاهرة 1411هـ/1991م؛ محمّد بختاورخان، مرآة العالم: تاريخ أورنغ زيب، ط. ساجدة س. العلويّ، لاهور

1979م/1399هـ؛ ضياء الدين البرنيّ، فتاوى جهاندارى، ط. أفسر سليم خان، لاهور

1972م/1391هـ؛ محمد قنديل البقليّ، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، مصر

1984م/1404هـ؛ أحمد بن يحيى البلاذريّ، فتوح البلدان، ط. عبدالله أنيس الطّباع وعمر

أنيس الطّباع، بيروت 1407هـ/1987م؛ هريبرت بوسه، پژوهشى در تشكيلات ديوان اسلامى: بر مبنای اسناد دوران آق قوينلو و قراقوينلو و صفوى [دراسة حول المؤسسة الديوانية الإسلامية: على أساس وثائق عصور الآق قوينلو والقراقوينلو والصفويّ]، ترجمه بالفارسيّة

غلامرضا ورهرام، طهران 1367ش [1988م]؛ محمد بن المؤيد بهاءالدين البغداديّ، التوسّل إلى الترسّل، ط. أحمد بهمنيار، طهران 1315ش [1936م]؛ شيرين البيانيّ، تاريخ آل جلاير، طهران 1345ش [1966م]؛ تاريخ شاهي قراختايان [تاريخ القراختايين الملكيّ]

لمؤلف مجهول في القرن السابع الهجريّ، ط. محمد إبراهيم الباستانيّ الباريّ، طهران

1355ش [1976م]؛ تيمورغوركان، تزوكات تيمورى [القوانين التيموريّة]، تحرير أبو

طالب حسيني تربتي بالفارسيّة، ط. أوفست طهران 1342ش [1963م]؛ غياث الدين بن

همام الدين خواندمير، قانون همايوني (همايون نامه)، ط. محمد هدايت حسين، كلكته

1359هـ/1940م؛ أحمد الدهلويّ، فرهنگ آصفيه [المعجم الآصفى]، لاهور 1986م؛

رشيد الدين فضل الله، جامع التواريخ، ط. محمد روشن ومصطفى الموسويّ، طهران

1373ش [1994م]؛ تصدّق حسين رضوي، لغات كشورى اردو [الألفاظ الإداريّة

الأردية]، كراتشي 1989م/1409هـ؛ علي سامي، تمدن ساساني [الحضارة الساسانية]،

شيراز 1342-1344ش [1963-1965م]؛ عبدالحسين بن هدايت الله سبهر، مرآت

الوقايح مظفرى، و، يادداشتهاى ملك المورخين [مرآة الحوادث المظفرية]، و، مذكرات ملك

المورخين]، ط. عبدالحسين نوائي، طهران 1368ش [1989م]؛ جان شاردن، سفرنامه

شاردن [مدونة رحلة شاردن]، الترجمة الفارسيّة لإقبال يغمائي، طهران 1372-1375ش

[1993-1996م]؛ محمد بن هندوشاه شمس المنشيّ، دستور الكاتب في تعيين المراتب، ط.

عبد الكريم علي أوغلي علي زادة، موسكو 1964-1976م/1383-1395هـ؛ محمد

بن جرير الطبريّ، تاريخ الرسل والملوك، ط. دخويه، ليدن 1879-1901م/1296-

1318هـ؛ أحمد بن يحيى العمريّ، التعريف بالمصطلح الشريف، ط. محمد حسين شمس

الدين، بيروت 1408هـ/1988م؛ أحمد بن عليّ القلقشنديّ، صبح الأعشى، القاهرة [تاريخ

المقدّمة 1383-1390هـ/1963-1970م]؛ آرتور امانوئيل كريستن سن، ايران در زمان

ساسانيان [إيران في عصر الساسانيين]، ترجمه بالفارسيّة رشيد ياسمي، طهران 1351ش
[1972م]؛ انگلبرت كمبفر، سفرنامهء كمبفر [مدوّنة رحلة كمبفر]، ترجمه بالفارسيّة
كيكاووس جهانداري، طهران 1360ش [1981م]؛ أبو الحسن بن محمد أمين غلستانه،
مجمّل التواريخ، ط. مدرّس الرضويّ، طهران 1356ش [1977م]؛ محمد كاظم المرويّ، عالم
آراى نادريّ، ط. محمد أمين الرياحيّ، طهران 1364ش [1985م]؛ عبدالله المستوفيّ،
شرح زندگاني من، يا، تاريخ اجتماعي واداري دورهء قاجاريه [سيرتي الذاتيه، أو، التاريخ
الاجتماعي والإداري في العصر القاجاريّ]، طهران 1360ش [1981م]؛ أحمد بن عليّ
المقريزيّ، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزيّة، بولاق
1270هـ/1854م، ط. أوفست القاهرة [لاتا.].؛ ميرزا سميعة، تذكرة الملوك، ط. محمد دبیر
سيّاقی، طهران 1368ش [1989م]؛ فلاديمير فدروفيتش مينورسكي، سازمان اداري
حکومت صفويّ، يا، تحقيقات وحواشي تعليقات استاد مينورسكي بر تذكرة الملوك [التنظيم
الإداري للدولة الصفويّة، أو، تحقيقات الأستاذ مينورسكي وحواشي تعليقاته على تذكرة
الملوك]، ترجمه بالفارسيّة مسعود رجب نيا، طهران 1368ش [1989م]؛ محمد بن عبد
الخالق الميهنيّ، دستور دبيری: متني از قرن ششم هجري [القانون الإداري: نصّ من القرن
السادس الهجريّ]، ط. علي الرضويّ البهاباديّ، يزد 1375ش [1996م]؛ ناصرالدين منشي
الكرمانیّ، سمط العلي للحضرة العليا، ط. عباس إقبال، طهران 1328ش [1949م]؛ محمد
صادق نامي الإصفهانيّ، تاريخ گيتي گشا [تاريخ فتح العالم]، ط. سعيد نفيسي،
طهران 1366ش [1987م]؛ محمد بن أحمد النسويّ، سيرة جلال الدين، أو، التاريخ
الجلاليّ، ترجمه بالفارسيّة محمد علي ناصح، طهران [تاريخ المقدّمة 1324ش [1945م]]؛
علي نقی نصيريّ، القاب ومواجب دورهء سلاطين صفويه [الألقاب والرواتب في عصر الملوك
الصفويّين]، ط. يوسف رحيم لو، مشهد 1372ش [1993م]؛

... أجني...

/ناديا برغ نيسي/